

25

مُلْحَقٌ:

# إِعْلَانُ بَرَلْمَانِ الْأَدْيَانِ الْعَالَمِيَّةِ عَنِ الْمَقَائِسِ الْعَالَمِيَّةِ لِلْأَخْلَاقِ

فِي الرَّابِعِ مِنْ شَهْرِ سِبْتَمْبَرِ عَامِ ١٩٩٣ م  
شِيكَاغُو، الْوَلَايَاتِ الْمُتَّحِدَةِ الْأَمْرِيكِيَّةِ

أُسُسُ مَقَائِسِ عَالَمِيَّةٍ لِلْأَخْلَاقِ

يُمرُّ عالمنا بأزمةٍ أساسيةٍ: أزمةٌ اقتصاديةٍ عالميَّةٍ، وأزمةٌ بيئيةٍ عالميَّةٍ، وأزمةٌ  
سياسيةٍ عالميَّةٍ. يشكو الناسُ في كلِّ صوبٍ وحَدَبٍ مِنْ غِيَابِ الرُّؤْيَا  
الْكُبْرَى، وَالتَّرَاكُمِ الرَّهِيْبِ لِلْمَشَاكِلِ غَيْرِ الْمُحَلُولَةِ، وَالشَّلَلِ السِّيَاسِيِّ. فَلَيْسَ  
هُنَاكَ إِلَّا قِيَادَاتٌ سِيَاسِيَّةٌ مُتَوَسِّطَةٌ مُسْتَوَى غَيْرِ مُتَمَيِّزَةٍ، بِلَا وَعْيٍ، وَبِلَا  
اسْتِشْرَافٍ لِلْمُسْتَقْبَلِ، نَاهِيكَ عَنِ ضِحَاكِ الْإِحْسَاسِ بِالْخَيْرِ الْعَامِّ عُمُومًا. ثَمَّةُ  
إِجَابَاتٌ قَدِيمَةٌ أَكْثَرُ مِمَّا يَنْبَغِي لِتَحَدِّيَاتٍ جَدِيدَةٍ.

يُعَانِي مِائَاتُ الْمِلايِينِ مِنَ الْبَشَرِ عَلَى كَوْكَبِنَا الْأَرْضِ بِصُورَةٍ مُتْرَايِدَةٍ مِنَ الْبَطَالَةِ،

١٧٧

وَالْفَقْرَ، وَالْجُوعَ، وَتَدْمِيرَ الْأَسْرَةِ. الْأَمَلُ فِي سَلَامٍ دَائِمٍ بَيْنَ الشُّعُوبِ يَتَلَاشَى مِنْ جَدِيدٍ. بَلَغَتِ التَّوَتُّرَاتُ بَيْنَ الْجِنْسَيْنِ، وَبَيْنَ الْأَجْيَالِ حَدًّا مَخِيفًا.

يَمُوتُ الْأَطْفَالُ، وَيَقْتُلُونَ، وَيُقْتَلُونَ. تَهْرَفُ ضَائِحُ الْفَسَادِ فِي السِّيَاسَةِ وَالْاِقْتِصَادِ عَدَدًا مُتَرَايِدًا مِنَ الدُّوَلِ. التَّعَايُشُ السَّلَامِيُّ فِي مَدِينَا يَزْدَادُ صُعُوبَةً بِسَبَبِ الصَّرَاعَاتِ الْأَجْتِمَاعِيَّةِ وَالْعَرِيقَةِ وَالْإِثْنِيَّةِ، وَبِسَبَبِ سُوءِ اسْتِخْدَامِ التَّخْدِرَاتِ، وَالْجَرَائِمِ الْمُنْتَظَمَةِ، بَلْ بِسَبَبِ الْفَوْضَى. حَتَّى الْجِيرَانُ كَثِيرًا مَا يَعِيشُونَ فِي خَوْفٍ. مَا زَالَ نَهْبُ كَوَكِبِنَا الْأَرْضِ يَحْدُثُ بِلا هَوَادَةٍ. نُوَاجِهُهُ الْأَنْظِمَةَ الْبَيْدِيَّةَ خَطَرًا لَا نَهْيَارَ.

دَائِمًا مَا نَلَا حِظًا مِنْ جَدِيدٍ كَيْفَ يَقُومُ زُعْمَاءُ بَعْضِ الْأَدْيَانِ وَاتِّبَاعُهُمَا فِي مَنَاطِقٍ لَيْسَتْ قَلِيلَةً مِنْ هَذَا الْعَالَمِ بِاضْتِرَامٍ الْأَعْتِدَاءِ وَالْتَّطَرُفِ وَالْبَغْضَاءِ وَمُعَادَاةِ الْأَجَانِبِ. بَلْ إِنَّهُمْ يُوجِّحُونَ الصَّدَامَاتِ الْعَنِيفَةَ، وَمُحْكَلُونَ الْمَوَاجِهَاتِ الدَّمَوِيَّةَ. كَثِيرًا مَا يَسَاءُ اسْتِخْدَامُ الدِّينِ لِأَغْرَاضِ سِيَاسَةِ الْقُوَّةِ الْمُحَضَّةِ، وَصُولاً إِلَى تَبْرِيرِ الْحُرُوبِ. هَذَا يَثِيرُ أَسْمَرَ أَرْزَانًا إِلَى الْبَعْدِ الْحُدُودِ.

إِنَّا نُدِينُ كُلَّ هَذِهِ التَّطَوُّرَاتِ، وَنُعَلِنُ أَنَّ هَذَا لَا دَاعِيَ لَهُ. يُوجَدُ بِالْفِعْلِ مَقَائِيسُ أَخْلَاقِيَّةٌ نَسْتَطِيعُ أَنْ نُوَاجِهَ بِهَا هَذِهِ التَّطَوُّرَاتِ الْعَالَمِيَّةَ الْوَحِيمَةَ. صَحِيحٌ أَنَّ هَذِهِ الْمَقَائِيسَ الْأَخْلَاقِيَّةَ لَا تُقَدَّمُ حُلُولًا مُبَاشِرَةً لِلْمَشَاكِلِ الْعَالَمِيَّةِ الْهَائِلَةِ كَأَنَّهَا تَقَدَّمُ الْأَسَاسُ الْأَخْلَاقِيَّ لِإِنْظَامِ شَخْصِيٍّ وَعَالَمِيٍّ أَفْضَلَ: **رُؤْيَا** يُمَكِّنُهَا انْتِقَادُ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ مِنَ الْيَأْسِ، وَمِنْ الْأَسْتِعْدَادِ لِلْمَارَسَةِ الْعَنِيفِ، وَابْتِعَادِ الْجَمْعَاتِ عَنِ الْفَوْضَى.

نَحْنُ - رِجَالًا وَنِسَاءً - نُقَرُّ بِأَوامِرِ أَدْيَانِ العَالَمِ وَشَعَائِرِهَا. إِنَّا نُؤَكِّدُ  
أَنَّ هُنَاكَ إِجْمَاعًا مَوْجُودًا بِالفِعْلِ بَيْنَ الأَدْيَانِ يُمكنُ أَنْ يُشكِّلَ أساسًا لِمَقاييسِ  
عَالَمِيَّةٍ لِلأَخْلَاقِ: هُوَ إِجْمَاعٌ أساسِيٌّ عَلَى الحَدِّ الأَدْنَى مِنَ القِيَمِ الرابِطَةِ، وَالمَعاييرِ  
الثابِتَةِ، وَالمَوَاقِفِ الأَخْلَاقِيَّةِ المَبْدِئِيَّةِ.

## أَوَّلًا: لِمَ نَظْمُ عَالَمِيًّا جَدِيدًا بِالمَقاييسِ عَالَمِيَّةٍ لِلأَخْلَاقِ

نَحْنُ - رِجَالًا وَنِسَاءً - مِنْ مُخْتَلِفِ أَدْيَانِ هَذَا العَالَمِ وَبُلدانِهِ نَتَوَجَّهُ لِذَلِكَ إِلى النَّاسِ  
كَافَّةً، مُتَدِينِينَ وَغَيْرِ مُتَدِينِينَ. نَحْنُ نُرِيدُ التَّعْيِيرَ عَن قِصَصِنا المَشْرَكَةِ بِما يَلِي:

- نَحْنُ جَميعًا نَتَحَمَّلُ مَسْئُولِيَّةَ إِقامَةِ نَظْمِ عَالَمِيٍّ أَفْضَلَ.
- إِنَّ جُهودَنا المَبْذُولَةَ مِنْ أَجْلِ الدَّفْعِ عَن حُقوقِ الإِنسانِ، وَالْحُرِّيَّةِ، وَالعَدْلِ،  
وَالسَّلَامِ، وَالمُحافَظَةِ عَلَى الأَرْضِ، هِيَ ضَرُورِيَّةٌ لا مَحالَةَ.
- إِنَّ تَقالِيدَنا الدِّينِيَّةَ وَالثَّقافَةَ المَخْتَلِفَةَ جَدًّا لا يَجُوزُ أَنْ تَمْنَعَنَا مِنْ أَنْ نُكافِ  
مَعَ كُلِّ أَشْكالِ الأَلائِسانِيَّةِ بِفاعِلِيَّةِ، وَالسَّعيِ لِإِحْلالِ مَزِيدٍ مِنَ  
الإِنسانِيَّةِ.
- إِنَّ المَبادِي المَبْتَرَعَةَ فِي هَذَا الإِعلانِ يُمكنُ لِجَميعِ الأَفرادِ مِنَ أَصْحابِ  
المَبادِي الأَخْلَاقِيَّةِ، سِوَاهُ أَكْثَرِ مُسَوِّغَةِ دِينِنا أَمْ لا، المَشارَكَةَ فِي  
دَعْمِها.
- لَكِنَ بِاعتِبارِنا أَشْخاصًا مُتَدِينِينَ ذَوِي تَوَجُّهاتٍ رُوحانِيَّةِ، وَنُؤَسِّسُ  
حِياتِنا عَلَى حَقِيقَةِ أُخِرَةٍ - نَسْتَدْمِها قُوَّةَ رُوحانِيَّةِ وَأَمَلًا، بِالتَّوَكُّلِ

وَالصَّلَاةِ أَوِ التَّكاملِ الرُّوحيِّ، نُظفًا أَوْ صَمْتًا - فَحَنُ لَدَيْنا التَّرَامُ خَاصُّ جَدًّا  
لِتحقيقِ خَيْرِ الأِنسانِيَّةِ جَمعًا، وَالأَعْتناءِ بِكوكِبِ الأَرْضِ. نَحْنُ لا نَعْتَبِرُ  
أَنفُسَنا أَفضَلَ مِنَ الأَخَرينَ، لَكِننا عَلَي ثِقَةٍ بِأَنَّ حِكْمَةَ أَدْيَانِنا العَرِيقَةِ في  
الأَقْدَمِ يُمكنُ أَنْ تُرشدَنا إلى سُبُلِ المُستَقْبَلِ أَيضًا.

بَعْدَ حَرَبَينِ عَالَمِيَّتَينِ، وَنِهايَةِ الحَرْبِ البَارِدَةِ، وَبَعْدَ أَنهيارِ الفاشِيَّةِ  
وَالنَّازِيَّةِ، وَمَرَلزَ لِقَةِ الشُّيُوعِيَّةِ وَالاستِعْمارِ، دَخَلَتِ الأِنسانِيَّةُ مَرَحَلَةً جَدِيدَةً  
مِنَ تَاريخِها.

مِنَ المُفْتَرَضِ أَنَّ الأِنسانِيَّةَ تَمتَكُ اليومَ مَوارِدًا قِصاديَّةً، وَثقافيَّةً، وَفِكريَّةً،  
كَافيَّةً لِتأسيسِ نِظامِ عَالَمِيٍّ أَفضَلَ. إِلاَّ أَنَّ **تَوَثُّراتِ** **إِثنيَّةً**، وَ**قَومِيَّةً**،  
**وَاجْتِماعِيَّةً**، وَ**اِقْتِصادِيَّةً**، وَ**دِينِيَّةً**، **قَدِيمَةً وَحَدِيثَةً**، تُهدِّدُ التَّأسيسَ السَّلْمِيَّ  
لِعالمِ أَفضَلَ.

صَحِيحٌ أَنَّ عَصْرَنا شَهِدَ تَقَدُّمًا عَالَمِيًّا وَتَكنُولُوجِيًّا أَعْظَمَ مِنِ أَيِّ وَقْتٍ مَضَى،  
إِلاَّ أَنَّنا نَواجِبُهُ بِرَغمِ ذَلِكَ حَقِيقَةً أَنَّ مُعدَّلاتِ الفَقْرِ، وَالجُوعِ، وَوفاةِ الأَطْفالِ،  
وَالبَطالةِ، وَالإِملاقِ، وَتَدْمِيرِ الطَّبيعَةِ، عَلَي مُستَوىِ العَالَمِ، لَمْ تَراجِعْ، بَلْ  
زادَتْ. نَواجِبُهُ شُعبُ كَثيرَةٌ خَطرَ الدِّمارِ الاِقْتِصادِيَّ، وَالتَّفكُّكِ  
الاجْتِماعِيَّ، وَالتَّهْميشِ السِّياسِيَّ، وَالكوامِثِ البِئِسيَّةِ، وَالأنهيارِ القَومِيَّ.

في مِثْلِ هذِهِ الأَوضاعِ العَالَمِيَّةِ المأساويَّةِ لا تَحْتَاجُ الأِنسانِيَّةُ إلى بَرامِجِ  
سِياسِيَّةٍ وَأَفعالٍ فَحَسْبُ، بَلْ تَحْتَاجُ أَيضًا إلى **رُويَّةٍ** **تَعايشِ** **سَلْمِيٍّ** بَينَ الشُّعوبِ،  
وَبيْنَ الجَماعَةِ الإِثنيَّةِ وَالأَخلاقِيَّةِ، وَبيْنَ الأَدْيَانِ، بِمَسْؤولِيَّةٍ مُشترَكَةٍ تُجَاهَ

## كوكبنا الأرض.

رؤية مبنية على الآمال، والأهداف، والمثل العليا، والمعايير. بيد أن كثيراً من الناس في جميع أنحاء العالم قد فقدوا كل هذا. برغم ذلك نحن مقتنعون بأن: الأديان بالذات، برغم سوء استخدامها، وبرغم فشلها التاريخي المتكرر، تتحمل مسؤولية إمكانية إبقاء مثل هذه الآمال، والأهداف، والمثل العليا، والمعايير، حية، وتوحيها، ومعايشتها.

هذا ينطبق بصورة خاصة على كيان الدولة الحديثة: إن ضمانات حرية الأديان، وحرية الضمير، ضرورية، لكنها لا يمكن أن تحل محل القيم الرابطة، والمبادئ والمقاييس التي تسري على البشر جميعاً، بصرف النظر عن الأصل الاجتماعي، والجنس، واللون، واللغة، أو الدين.

إننا مقتنعون بالوحدة الجوهرية للأسرة الإنسانية على كوكبنا الأرض. نحن نذكر لذلك بالإعلان العام لحقوق الإنسان الصادر عن الأمم المتحدة عام ١٩٤٨م. إن ما يُكادى به هذا الإعلان بقوة على مستوى الحقوق، نريد تأكيده وتعميقه هنا من وجهة نظر المعايير الأخلاقية: التحقيق الكامل: لحرمة الشخص الإنساني، والحرية المقدسة (= التي لا تباع)، والمساواة المبدئية بين جميع البشر، والتضامن الضروري، واعتماد البشر كافة بعضهم على بعض.

بناءً على خبرات الحياة الشخصية، وتأريخ كوكبنا الأرض المزدحم بالمعاناة، تعلمنا ما يلي:

- لَيْسَ يُمَكِّنُ بِالقَوانِينِ وَالْمَراسِمِ وَالاتِّفاقاتِ وَحَدَها، خَلقُ نِظامِ عَالِمِيٍّ أَفْضَلَ، ناهِيكَ عَن قَرَضِهِ.
- إِنَّ تَحقيقَ السَّلَامِ، وَالعَدْلِ، وَالْمُحافَظَةَ عَلى الأَرْضِ، يَتَوَقَّفُ عَلى وَعْيِ النَاسِ، وَأَسْتعدادِهِمُ لِأَحْتِرامِ أَحكامِ القانُونِ.
- إِنَّ العَمَلَ مِن أَجْلِ الحَقِّ وَالْحُرِيَّةِ يَفْتَرِضُ وُجودَ وَعْيٍ بِالمَسؤولِيَّةِ وَالواجِباتِ، وإِنتِهِ يَنبَغِي لِذَلِكَ مُخاطَبَةُ عُقولِ النَاسِ وَقُلوبِهِم جَميعاً.
- إِنَّ الحَقَّ بِالأَخلاقِ لا يُمَكِّنُ أَن يَدومَ وَيَسْتَبَّ مَعَ الوَقْتِ، وإِنتِهِ لِذَلِكَ لَنْ يُوَجَدَ نِظامٌ عَالِمِيٌّ جَدِيدٌ، بِلامْتِقايسِ عَالَمِيَّةٍ لِلأَخلاقِ.

نَحْنُ لا نَعْنِي بِالمَقاييسِ العَالَمِيَّةِ لِلأَخلاقِ إِيدِولوجِياً عَالَمِيَّةً جَدِيدَةً، وَلا دِيناً عَالِمِيًّا مُوَحِّداً يَتجاوَزُ جَميعَ الأَدِيانِ المَوْجودَةِ، ناهِيكَ عَن سَيطَرَةِ دِينِ واحِدٍ عَلى سائِرِ الأَدِيانِ. بَلْ نَقْصِدُ بِالمَقاييسِ العَالَمِيَّةِ لِلأَخلاقِ إِجماعاً أساسِيًّا فِيمَا يَحْضُرُ القِيمَ الرابِطَةَ المَوْجودَةَ، وَالْمعاييرَ الثابِتَةَ، وَالْمواقِفَ الأساسِيَّةَ الشَّخْصِيَّةَ. بِدُونِ إِجماعِ أساسِيٍّ عَلى المَقاييسِ الأَخلاقِيَّةِ يُوَاجِهُ كُلُّ مُجتمَعٍ خَطَرَ الفَوْضى أَوِ الدَيْكْتاتورِيَّةِ، وَسَيُصابُ البَعْضُ بِالأَسِّ عاجِلاً وَاجِلاً.

## ثَانِيًا: مَطْلَبٌ أُسَاسِيٌّ:

### يَجِبُ أَنْ يُعَامَلَ كُلُّ إِنْسَانٍ مُعَامَلَةً إِنْسَانِيَّةً

نَحْنُ جَمِيعًا أَنَاسٌ نَاقِصُونَ، غَيْرُ مَعْصُومِينَ مِنَ الْخَطَا، لَنَأْخُذُ وَدُنَا وَمَثَلِنَا. إِنَّا نَعْلَمُ حَقِيقَةَ الشُّكْرِ. لِكِنَّا نَشْعُرُ لِذَلِكَ بِالذَّاتِ، مِنْ أَجْلِ خَيْرِ الْإِنْسَانِيَّةِ، بِالْأَلْتِرَامِ بِالْإِفْصَاحِ عَمَّا يَبْغِي أَنْ يَكُونَ عَنَّا صِرَاسِيَّةً لِمَقَائِسِ أَخْلَاقِ مُشْتَرَكَةٍ لِلْإِنْسَانِيَّةِ جَمْعًا، لِكُلِّ مِنَ الْأَفْرَادِ وَالْجَمَاعَاتِ وَالْمُنْظَمَاتِ، لِلدُّوَلِ، وَالْأَدْيَانِ نَفْسَهَا. ذَلِكَ أَنَّنَا عَلَيَّ ثِقَةٌ بِأَنَّ: تَقَالِيدَنَا الدِّيْنِيَّةَ وَالْأَخْلَاقِيَّةَ الَّتِي يَبْلُغُ عُمُرُ بَعْضِهَا آلاَفَ السِّنِّينِ تَحْتَوِي عَلَيَّ عَنَّا صِرَافِيَّةً لِمَقَائِسِ أَخْلَاقِيَّةٍ - عَنَّا صِرَافِيَّةً مَفْهُومَةً، وَيُمْكِنُ لِكُلِّ أَصْحَابِ النَّيَّةِ الْحَسَنَةِ الْعَيْشِ بِهَا، الْمُتَدِينِينَ وَغَيْرِ الْمُتَدِينِينَ.

إِنَّنَا نَعْبِي هُنَا: أَنَّ تَقَالِيدَنَا الدِّيْنِيَّةَ وَالْأَخْلَاقِيَّةَ الْمُخْتَلِفَةَ تُبَيِّنُ بِالذَّلِيلِ، بِطَرِيقَةٍ كَثِيرًا مَا تَكُونُ مُتَبَايِنَةً، مَا يَنْفَعُ الْإِنْسَانَ أَوْ يَضُرُّهُ، مَا هُوَ صَوَابٌ أَوْ خَطَا، مَا هُوَ خَيْرٌ أَوْ مَا هُوَ شَرٌّ. إِنَّنَا لَا نُرِيدُ طَمَسَ الْخِلَافَاتِ الْجَذْرِيَّةِ بَيْنَ الْأَدْيَانِ أَوْ تَجَاهُلَهَا. لَكِنَّمَا لَا يَبْغِي أَنْ تَحُولَ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْإِعْلَانِ جِهَارًا عَمَّا هُوَ مُشْتَرَكٌ الْآنَ بِالْفِعْلِ بَيْنَنَا، وَعَمَّا نَشْعُرُ بِالْأَلْتِرَامِ بِهِ، بِنَاءً عَلَيَّ مَا هُوَ مُشْتَرَكٌ الْآنَ بِالْفِعْلِ مِمَّا لَدَى كُلِّ مَنَّا مِنْ أُسُسِ دِينِيَّةٍ أَوْ أَخْلَاقِيَّةٍ.

إِنَّنَا نَعْبِي أَنَّ الْأَدْيَانَ لَا تَسْتَطِيعُ حَلَّ مَشَاكِلِ هَذِهِ الْأَرْضِ الْبَيْئِيَّةِ، وَالْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَالسِّيَاسِيَّةِ، وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ. لَكِنَّمَا تَسْتَطِيعُ الْوُصُولَ إِلَى مَا لَا يُمَكِّنُ التَّوَصُّلَ إِلَيْهِ فِيمَا يَبْدُو مِنْ خِلَالِ الْاِقْتِصَادِيَّةِ، وَالْبِرَاجِ

السِّيَاسِيَّةِ، أَوِ التَّنْظِيماتِ القانُونِيَّةِ وَوَحَدَها: وَهُوَ تَغْيِيرُ المَوْقِفِ الدَّاخِلِيِّ لِلإِنْسَانِ، وَالْعَقْلِيَّةِ بِرُمَّتها، أَيِ «قَلْبِ» الإِنْسَانِ، وَحَمَلُهُ عَلى «عَوْدَةٍ» مِنْ طَرِيقِ خاطِئِهِ إِلى مَوْقِفٍ جَدِيدٍ مِنَ الحِياةِ.

إِنَّ الإِنْسانِيَّةَ بِحاجَةٍ لا مَحالَةَ إِلى الإِصْلاحاتِ الأَجْتِماعِيَّةِ وَالبيئِيَّةِ، لَكِنْ حَاجَتَها إِلى التَّجْدِيدِ الرُّوحانيِّ لا تَقِلُّ عَن ذلِكَ. إِنَّها كَأَشْخاصٍ ذَوِي توجُّهاتٍ دِينِيَّةٍ وَرُوحِيَّةٍ، نُرِيدُ الأَلْتِزامَ بِذلِكَ بِصُورَةٍ خاصَّةٍ، وَذلِكَ عَن وَعْيٍ مِثْما بِأَنَّ القُوَى الرُّوحانيَّةَ لِلأَدْيَانِ بِالذَّاتِ هِيَ الَّتِي يُمكِنُ أَنْ تُوفِّرَ لِلنَّاسِ فِي حِياَتِهِم ثِقَةً أُسَاسِيَّةً، وَأُفقًا لِمَعْنى الحِياةِ، وَمعاييرَ أُخيرةً، وَوَطْناً رُوحانيًّا. لَكِنْ الأَدْيَانُ لا تَسْتَطِيعُ إِنجازَ ذلِكَ بِمِصْداقِيَّةٍ، إِلا إِذا تَغَلَّبَتْ هِيَ نَفْسُها عَلى تِلْكَ الصَّراعاتِ الَّتِي هِيَ نَفْسُها مَصْدَرُها، وَالإِذا قَلَّ كُلُّ مِثْما غَطْرَسَتْهُ، وَسُوءَ ظَنَّهُ، وَأَحْكامَها المُسَبَّقةَ، بَلْ مِشاعِرُهُ العَدائِيَّةَ تُجاءُ الأَخرِ، وَالإِذا أَظْهَرَ كُلُّ دِينٍ أَحْتِرامًا تُجاءُ تَقالِيدُ أَصْحابِ الدِّياناتِ الأَخرى، وَمُقَدَّساتِهِم، وَصِيا مِهمِّم، وَشَعائِرِهِم.

نَحْنُ جَمِيعًا نَعْلَمُ أَنَّهُ: ما زالَ هُنْكَ أَناسٌ فِي جَمِيعِ أَهْحاءِ العالَمِ يُعامَلونَ مُعامَلَةً غَيرَ إِنْسانِيَّةٍ. إِنَّهُمْ يُحْرَمونَ مِنْ فُرْصِهِم فِي الحِياةِ، وَتُسَلَبُ حُرِّيَّاتُهُم، وَيُداسُ عَلى حُقوقِهِم الإِنْسانِيَّةِ بِالْأَقْدامِ، وَتُمتَهَنُ كِرامَتُهُم الإِنْسانِيَّةُ. بَيدَ أَنَّ السُّلْطَةَ وَالْحَقَّ لا يَسْتَوِيانِ! نَظراً إِلى جَمِيعِ أَشْكالِ الأَلْإِنْسانِيَّةِ تُطالَبُ مُعْتَداتُنا الدِّينِيَّةُ وَالْأَخلاقِيَّةُ بِ: ضُرُورَةٍ مُعامَلَةٍ كُلِّ إِنْسانٍ مُعامَلَةً إِنْسانِيَّةً!



هَذَا يَعْنِي: أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ يَمْتَلِكُ كِرَامَةً مُقَدَّسَةً، لَا يُمْكِنُ بِيَعْمَهَا، أَوْ التَّفْرِيطُ فِيهَا، بِصَرْفِ النَّظَرِ عَنْ عُمُرِهِ، أَوْ جِنْسِهِ، أَوْ عِرْقِهِ، أَوْ لَوْنِ بَشَرَتِهِ، أَوْ قُدْرَتِهِ الْجَسَدِيَّةِ أَوِ الْفِكْرِيَّةِ، أَوْ لُغَتِهِ، أَوْ دِينِهِ، أَوْ رُؤْيَيْهِ السِّيَاسِيَّةِ، أَوْ أَصْلِهِ الْقَوِيمِيِّ أَوِ الْاجْتِمَاعِيِّ. يَلْتَزِمُ لِذَلِكَ الْجَمِيعُ - أَفْرَادًا وَدَوْلًا - بِاحْتِرَامِ هَذِهِ الْكِرَامَةِ، وَضَمَانِ الْحِمَايَةِ الْفَعَالَةِ لَهَا. أَيْضًا فِي الْأَقْتِسَادِ، وَالسِّيَاسَةِ، وَالْإِعْلَامِ، وَفِي الْمَعَاهِدِ الْبَحْثِيَّةِ، وَالْمَوْسَّسَاتِ الصَّنَاعِيَّةِ، يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ دَائِمًا شَخْصًا قَانُونِيًّا، وَهَدَفًا، وَلَيْسَ أَبَدًا مَجْرَدَ وَسِيلَةٍ، لَيْسَ أَبَدًا سِلْعَةً لِلْمَتَاجِرَةِ وَالصَّنِيعِ.

لَا أَحَدِيْقُ فِي «مَا وَرَاءَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ»: لَا إِنْسَانٌ، وَلَا طَبَقَةٌ اجْتِمَاعِيَّةٌ، وَلَا جَمَاعَةٌ مَصَالِحِ قُوَّةِ النَّفُوذِ، وَلَا تَحَالُفٌ قَوِيًّا، وَلَا جِهَاتٌ شَرْطِيَّةٌ، وَلَا جَيْشٌ، وَلَا دَوْلَةٌ. بِالْعَكْسِ: يَلْتَزِمُ كُلُّ إِنْسَانٍ، بِأَعْتِبَارِهِ كَانًا مُرَوِّدًا بِعَقْلِ وَضَمِيرٍ، أَنْ يَتَصَرَّفَ بِطَرِيقَةٍ إِنْسَانِيَّةٍ، وَلَا يَتَصَرَّفَ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ إِنْسَانِيَّةٍ، وَأَنْ يَفْعَلَ الْخَيْرَ، وَيَدَعِ الشَّرَّ!

يُرِيدُ إِعْلَانُ هَذَا تَوْضِيحَ الْمَعْنَى الْمَحْدَدِ لِذَلِكَ. إِنْسَانِيٌّ دُفِيمَا يُخَصُّ نِظَامًا عَالَمِيًّا جَدِيدًا لِتَذْكَيرِ مَعَايِرِ اخْتِلَاقِيَّةٍ حَقِيقَةٍ<sup>٥٦٤</sup> ثَابِتَةٍ. مَعَايِرُ يَنْبَغِي أَلَّا تَكُونَ قِيُودًا أَوْ غَلَالًا لِلْإِنْسَانِ، بَلْ دَعَائِمٌ وَوَسَائِلُ مُعِينَةٌ، مِنْ أَجْلِ اكْتِشَافِ مَجْرَى الْحَيَاةِ بِصُورَةٍ مُتَجَدِّدَةٍ، وَكَذَلِكَ اكْتِشَافِ وَتَحْقِيقِ قِيمِ الْحَيَاةِ، وَمَوَاقِفِ الْحَيَاةِ، وَمَعْنَى الْحَيَاةِ.

يُوجَدُ مَبْدَأٌ - هُوَ الْقَاعِدَةُ الذَّهَبِيَّةُ - يُمَكِّنُ الْعُثُورَ عَلَيْهِ مِنْذُ آلافِ السِّنِينَ

في كثيرٍ من تقاليدِ الإِنسانِيَّةِ الدِّيَنِيَّةِ وَالأَخلاقِيَّةِ، وَالَّذِي سَبَتَ صَلاحِيَّتُهُ: **ما الَّذِي لا تُريدُ أَنْ يَفْعَلَهُ الأَخرونَ بِكَ، لا تَفْعَلُهُ أَنْتَ أَيضاً بِالآخَرينَ! أو بِصِغَةِ إِيجابِيَّةٍ: ما تُريدُ أَنْ يَفْعَلَهُ الأَخرونَ بِكَ، أَفْعَلُهُ أَنْتَ أَيضاً بِالآخَرينَ!** يَنبَغِي أَنْ تَكُونَ هَذِهِ القَاعِدَةُ هِيَ المَعيارُ الثابِتُ الحَتْمِي لِجَميعِ مَجالاتِ الحِياةِ، لِلأسرةِ، وَالجماعاتِ، لِلأجناسِ، وَالأممِ، وَالأديانِ.

إِنَّ الأَنايَةَ بِكُلِّ أَشكالِها، أَمِّ تَطَلُّعِ نَحوِها، سَواءً أَكانَ فَردياً أَمَّ جَماعِيّاً، سَواءً أَظَهَرَ في صُورَةِ التَّفكيرِ الطَّبَقِيِّ، أَمَّ العُنُصُرَةِ، أَمَّ القَومِيَّةِ، أَمَّ أَضطِهادِ الرِّجالِ النِّساءِ، مُستَكرَةً. إِننا نَدينُها، لِأَنَّها تُعَوِّقُ المَرءَ أَنْ يَكُونَ إِنساناً حَقيقِيّاً. إِنَّ تَقديرَ المَصيرِ، وَتحقيقَ الذاتِ، مِنَ الأُمورِ المُشروعةِ جِداً، ما دامَ ما أَنتَها لا يَنفَصِلانِ عَنِ المُسؤولِيَّةِ الذَّائِئَةِ، وَمَسؤولِيَّةِ الإِنسانِ تُجاهَ العالَمِ، وَالْمَسؤولِيَّةِ تُجاهَ الأِخوةِ في الإِنسانِيَّةِ، وَكوكِبِ الأَرْضِ.

يَتَضَمَّنُ هَذَا المَبْدَأُ مَعاييرَ مُحَدَدَةً جِداً، يَنبَغِي أَنْ نَلتَزِمَ، نَحْنُ البَشَرُ، بِها. وَيَنبَغِي عَنهُ أربَعَةُ إرِشاداتٍ شامِلَةٍ عَريقَةٍ في القَدَمِ، مَوْجُودَةٌ في مُعظَمِ أَدْيانِ هَذَا العالَمِ.

## ثالِثاً: أربَعَةُ إرِشاداتٍ ثابِتَةٍ

١- الأَلتِزامُ بِثقافةٍ خالِيَةٍ مِنَ العُنْفِ وَبأَحترامِ الكائِناتِ الحَيَّةِ كافَّةً

يَسعى عَدَدٌ لا يُحصى مِنَ النَّاسِ في جَميعِ البُلدانِ وَالأَدْيانِ مِنْ أَجلِ تحقيقِ حِياةٍ

لَا تَحْكُمُهَا إِلَّا نَائِبَةٌ، بَلِ العَمَلُ مِنْ أَجْلِ الإِخْوَةِ فِي الإِنْسَانِيَّةِ، وَسَائِرِ مَحَلِّاتِ  
اللهِ. يُوجَدُ بَرَعِمٌ هَذَا فِي عَالَمِ اليَوْمِ كَثِيرٌ مِنَ الكَرَاهِيَّةِ، وَالْحِقْدِ، وَالغِيْرَةِ،  
وَالعُنْفِ، عَلَي نِطَاقٍ وَاسِعٍ لَا يَنْتَهِي: لَيْسَ فَقَطْ بَيْنَ الأَفْرَادِ، بَلْ أَيْضًا بَيْنَ الجَمَاعَاتِ  
الاجْتِمَاعِيَّةِ وَالإِثْنِيَّةِ، بَيْنَ الطَّبَقَاتِ وَالْأَجْناسِ، وَالْأُمَّمِ وَالْأَدْيَانِ. لَقَدْ وَصَلَ  
اسْتِخْدَامُ العُنْفِ، وَتِجَارَةُ المَخْدَرَاتِ، وَالْجَرِيْمَةُ المُنظَّمَةُ الَّتِي كَثِيرًا مَا تَكُونُ  
مُرَوِّدَةً بِأَحْدَثِ إمكانياتِ التَّقْنِيَّةِ، إِلَى مُعْدَلَاتِ عَالَمِيَّةٍ. مَا زالَ الحُكْمُ  
بِالإِرْهَابِ «مِن فَوْقِ» يَتِمُّ فِي مَنَاطِقَ كَثِيرَةٍ؛ الَّتِي كَثُرَ تَوْرِيؤُها يَغْتَصِبُونَ شُعبَهُمْ،  
وَعُنْفُ المُوَسَّساتِ صارَ وَاسِعَ الأَنْتِشارِ. حَتَّى فِي بَعْضِ الدُّوَلِ، الَّتِي يُوجَدُ فِيهَا  
قَوَانِينُ لِحَمَايَةِ الحُرِّيَّاتِ الشَّخْصِيَّةِ، يَتِمُّ تَعْدِيبُ السُّبْحانِ، وَتَشْوِيبُ النَاسِ، وَقَتْلُ  
الرَّهائِنِ.

أ- لَكِنَّا نَعْرِفُ مِنْ تَقالِيدِ الإِنْسَانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَالْأَخلاقِيَّةِ الكُبْرَى  
الْقَدِيمَةِ الإِرْشادَ القائِلَ: **لَا تَقْتُلْ!** أَوْ بِصِيغَةٍ إِجْمايِيَّةٍ: **أَحْتَرِمُ الحَيَاةَ!**  
لِنَتَذَكَّرَ إِذاً مِنْ جَدِيدِ نَتائِجِ هَذَا الإِرْشادِ الضَّارِبِ فِي القَدَمِ: لِكُلِّ  
إِنسانٍ الحَقُّ فِي الحَيَاةِ، وَالسَّلَامَةِ الجَسَدِيَّةِ، وَالتَّطَوُّرِ الحُرِّ لِشَخْصِيَّتِهِ، ما دَامَ  
أَنَّهُ لَا يَنْتَهِكُ حُقُوقَ الآخَرِينَ. لَيْسَ بِحَقٍّ لِأَيِّ إِنسانٍ تَعْدِيبُ إِنسانٍ آخَرَ  
جَسَدِيًّا أَوْ نَفْسِيًّا، أَوْ جَرْحُهُ، ناهِيكَ عَنِ قَتْلِهِ. لَيْسَ بِحَقٍّ لِأَيِّ شَعْبٍ، أَوْ دَوْلَةٍ،  
أَوْ جِنْسٍ، أَوْ دِينٍ، مُمارَسَةُ التَّمييزِ ضِدَّ أَقْلِيَّةٍ مُخْتَلِفَةٍ فِي النَوْعِ أَوِ الدِّينِ،  
وَتَطْهِيرُها عِرْقِيًّا، وَفِيها، ناهِيكَ عَنِ تَصْفِيَّتِها.

ب- يَقِينًا إِنما أُوجِدَ بَشَرٌ، سَيَكُونُ هُنَاكَ صِراعاتٌ. لَكِن مِثْلَ هَذِهِ  
الصِّراعاتِ يَنْبَغِي أَنْ تُحَلَّ بِمَبَدِّئِها بِالْعُنْفِ، فِي إِطارِ نِظامٍ قانُونِيٍّ. هَذَا

يَنْطَبِقُ عَلَى الأَفْرادِ وَالدُّولِ جَمِيعًا. إِنَّ أَصْحابَ السُّلْطَةِ السِّيَاسِيَّةِ  
بِالذَّاتِ مُطابِقُونَ بِاللِّتِزامِ بِالقَوانِينِ، وَبِعَمَلِ كُلِّ ما فِي وَسْعِهِمْ مِنْ أَجْلِ  
التَّوَصُّلِ إِلى حُلُولِ سَلْمِيَّةٍ بِلا عُنْفٍ بِقَدْرِ الإِمْكانِ. يَنْبَغِي أَنْ يَفْعَلُوا  
كُلَّ ما فِي وَسْعِهِمْ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ نِظامِ سَلامٍ عَالمِيٍّ، يَحْتَاجُ بِدَوْرِهِ  
إِلى الحِمَايَةِ وَالدِّفاعِ ضِدَّ هَولاءِ الَّذِينَ يُمارِسُونَ العُنْفَ. إِنَّ سِباقَ التَّسَلُّحِ  
ضالٌّ، وَنِزْعُ السَّلاحِ هُوَ مَطْلَبُ السَّاعَةِ. لا يَنْخَدِعَنَّ أَحَدٌ: لا بَقاءَ  
لِلبَشَرِيَّةِ، بِلا سَلامٍ عَالمِيٍّ!

ج- يَنْبَغِي لِذَلِكَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النَّشْءُ فِي الأَسْرَةِ وَالمَدْرَسَةِ أَنَّهُ لا يَجُوزُ  
أَسْتِخدامُ العُنْفِ كَوَسِيلَةٍ لِحَلِّ الخِلافاتِ مَعَ الأَخْرينِ. بِهَذَا فَقط  
يُمْكِنُ خُلُوقُ نِقاةٍ خالِيةٍ مِنَ العُنْفِ.

د- إِنَّ الشَّخْصَ الأِنْسائِيَّ نَفِيسٌ بِلا حُدُودٍ، وَلا بُدَّ مِنْ حِمَايَتِهِ. لَكِنْ أَيْضًا  
**حِياةُ الحِياواتِ وَالتَّنباتِ الَّتِي تَسْكُنُ مَعنا هَذا الكَوْنُ،**  
تَسْتَحِى الحِمَايَةَ، وَالعِنايَةَ، وَالرِّعايَةَ. إِنَّ اسْتِغْلالَ أُسُسِ الحِياةِ الطَّبِيعِيَّةِ  
بِلا حِياةٍ، وَتَدْمِيرَ الكائِناتِ الحِيةِ وَمِحيطِها بِلا هِوادَةِ، وَعَسْكَرَةَ  
الكَونِ، تُعدُّ إِثمًا وَاجْرَما. إِننا كَبَشَرٌ تَحْمَلُ - أَيْضًا بِالنَّظَرِ  
إِلى الأَجْمالِ القادِمَةِ بِالذَّاتِ - مَسْؤُولِيَّةً خاسَةً تُجاهَ كَوْنِ  
الأَرْضِ، وَالكَوْنِ، وَالهِواءِ، وَالماءِ، وَالأَرْضِ. نَحْنُ جَمِيعًا فِي هَذا  
الكَونِ كائِناتٌ يَرْتَبِطُ بَعْضُنا بِبَعْضٍ بِعَلاقاتٍ وَثِيقَةٍ، وَيعْتَمِدُ  
بَعْضُنا عَلى بَعْضٍ. كُلُّ مِثا يَعمِدُ عَلى خَيْرِ الكُلِّ. لِذا لَيْسَ يَسْري  
ما يَلي: لَيْسَ يَنْبَغِي تَروِيجُ سِيطَرَةِ الأِنْسانِ عَلى الطَّبِيعَةِ وَالكَوْنِ، بَلْ يَجِبُ

الاعتناء بالتضامن والطبيعة والكون.

هـ- أن يكون المرء إنساناً حقيقياً يعني بروح تقاليدنا الدينية والأخلاقية الكبرى أن يكون رقيقاً مستعداً للمساعدة، وذلك في كل من الحياة الخاصة والعامة. ليس ينبغي البتة أن نكون متوحشين، لأنراعي الآخرين. ينبغي أن يظهر كل شعب للشعب الآخر، وكل جنس للجنس الآخر، وكل دين للدين الآخر، تسامحاً، واحتراماً، بل إجلالاً وتقديراً. تحتاج الأقليات - سواء أكانت عرقية أم إثنية أم دينية - إلى حمايتنا ودعمنا.

## ٢- الالتزام بثقافة التضامن ونظام اقتصادي عادل

يسعى عدد لا يحصى من الناس في جميع الأديان إلى تحقيق تضامن متبادل، ومن أجل حياة يعمل يؤدونه بوفاء وإخلاص. برغم ذلك يوجد في عالم اليوم جوع، وفقير، وعناء، كثير لا ينتهي. سبب ذلك ليس مجرد الأفراد وحدهم. بل إن البنى الاجتماعية الظالمة كثيراً ما تكون أيضاً سبباً لذلك: هناك ملايين من الناس بلا عمل، وملايين يتم استغلالهم من خلال الأعمال المنخفضة الأجور، ويدفعون إلى هامش المجتمع، ويحرمون من فرصهم في الحياة. ثمة فروق هائلة في كثير من البلدان بين الفقراء والأغنياء، بين الأقوياء والمغلوبين على أمرهم.

في عالم قامت فيه رأسمالية مطلقه العنان، وأستراتيجية دولة شمولية، بتفريع قيم أخلاقية وروحية كثيرة وتدميرها، تمكن لهم الربح بلا حدود،

وشره جمع المال بلا حياء، من الانتشار، بل أيضا فكر ادعائي مادّي، لا يكف عن مطالبة الدولة بمزيد من الحقوق، دون أن يلزم نفسه بمزيد من الواجبات. لقد تحول الفساد إلى وباء سرطاني في جسد المجتمع، ليس في الدول النامية فقط، بل أيضا في البلدان الصناعيّة.

أ- لكتنا نعرف من تقاليد الإنسانيّة الدينيّة والأخلاقيّة القديمة الكبري الإرشاد القائل: **لا تسرق!** أو بصيغة إيجابيّة: **تصرف بعدل وانصاف!** لتذكّر إذا من جديد تكابح هذا الإرشاد العتيق في القدم: ليس يحق لأي إنسان، بأي شكل من الأشكال، أن يسرق إنسانا آخر، أو يعتدي على ملكيته، أو المديّة العامّة. لكن في مقابل هذا لا يحق أيضا لأي إنسان استخدام ملكيته الخاصّة، بدون مراعاة احتياجات المجتمع وحاجات الأرض.

ب- أينما عمّ الفقر المدقع، ينتشر الإحساس بالعجز واليأس، وتتم السرقة أيضا بصورة متكررة من أجل البقاء على قيد الحياة. أينما تكادس السلطة والثروة بلا هوادة، تستيقظ لا محالة لدى المظلومين والمهمشين مشاعر الحقد، والضغينة، بل الكراهية القاتلة والتمرد. لكن هذا يقود إلى حلقة شيطانية مفرغة من العنف والعنف المضاد. لا يتخذ عن أحد: لا سلام عالميا، بلا عدالة عالميّة.

ج- ينبغي لذلك أن يتعلم النشء في الأسرة والمدرس أن المديّة، مهما كانت ضئيلة، ملزمة. ينبغي أن يجلب استخدام الخير

للناس عامة في الوقت نفسه. هكذا فقط يمكن تشييد نظام  
اقتصادي عادل.

د- لكن إن كان ينبغي أن تتغير أوضاع أفقر مليارات إنسان على  
هذا الكوكب بصورة حاسمة، خصوصاً النساء والأطفال منهم،  
فلا بد من تشكيل بنية الاقتصاد العالمي بصورة أكثر عدلاً. هنا  
لا تكفي الأعمال الخيرية الشخصية، ومشروعات الإغاثة الفردية،  
مهما كانت ضرورية لا يمكن الاستغناء عنها. بل يحتاج الأمر  
إلى مشاركة جميع البلدان، وإلى سلطة المنظمات الدولية، من أجل  
التوصل إلى توازن عادل.

إن أزمة الديون، وفقر العالم الثاني المتلاشي، وأكثر منه العالم  
الثالث، ينبغي تقديم حلّ لهما مقبول بالنسبة لجميع الأطراف. يقيناً لن  
يمكن تحاشي صراع المصالح في المستقبل أيضاً. ينبغي على كل حال  
التمييز في الدول النامية بين استهلاك ضروري، واستهلاك بلا رادع  
ولا حياة، بين استعمال اجتماعي للملكية، واستخدام غير اجتماعي لها،  
بين استثمار مرسوم للموارد الطبيعية، واستغلال لا يمكن تبريره، بين اقتصاد  
سوق رأسمالي محض، واقتصاد سوق ذي توجهات اجتماعية وبيئية. إن  
الدول النامية أيضاً تحتاج إلى مراجعة الضمير القومي<sup>٥٦</sup>.

يسري في كل مكان: أينما يهز الحكم الحكوميين، والمؤسسات  
الأفراد، والقوة الحق، تحسن المقاييس، على أن تكون بلا عنف بقدر

## الإمكان.

هـ- أن يكون المرء إنساناً، يعني بروح تقاليدنا الدينية والآخلاقية الكبرى ما يلي:

- بدلاً من سوء استخدام السلطة الاقتصادية والسياسية في معركة بلا هوادة من أجل السيطرة، استخدام هذه السلطة لخدمة الناس.
- ينبغي أن نطور روح اللرافة بالمعدين، ونعني بصورة خاصة بالفقراء، والمعوقين، والمسنين، والأجيين، وأولئك الذين يعانون من الوحدة.
- بدلاً من فكرة قوة صرف، وسياسة قوة بلا رادع، ينبغي أن يسود في المنافسة التي لا يمكن تحاشيها: **الأحترام المتبادل**، والتوازن المعقول للمصالح، وإرادة التوسط، ومراعاة الآخرين.
- بدلاً من شره لا يشفى له غليل تجاه المال والهيبة والآس تهلاك، ينبغي العودة من جديد إلى **روح الاعتدال والتواضع**! ذلك أن إنسان الطمع يفقد «نفسه»، ويفقد حرته وطمأنينته، وسلامه الداخلي، وبذلك يفقد ما يجعله إنساناً.

## ٣- الألتزام بثقافة التسامح والعيش في صدق

يسعى عدد لا يحصى من الناس في جميع البلدان والأديان أيضاً في عصرنا هذا من أجل العيش في أمانة وصدق. يوجد برغم ذلك في عالم اليوم كثير من الإفك والبهتان، والعش، والنفاق، والإيديولوجيا، والديمأجوجية<sup>٥٦٦</sup>، بلا



حُدُود:

- السِّيَاسِيُّونَ وَرِجَالُ الأَعْمَالِ الَّذِينَ يَسْتَحْدِمُونَ الكِذْبَ وَسِيلةً لِلسِّيَاسَةِ وَالتَّجَاحِ.

- وَسائِلُ الإِعلامِ الجَمَاهيريِّ التي تُروِّجُ دِعايَةَ اِيديولوجيَّةٍ بَدَلًا مِنَ الأَخْبَارِ الصَّادِقَةِ، وَتُنشُرُ الضَّلالاتِ بَدَلًا مِنَ المَعْلوماتِ، وَتَتَّبِعُ سِياسَةَ تَسْوِيقِ خِيبَةٍ بَدَلًا مِنَ الأَلْتِرامِ بِالْحِقيقةِ.

- العُلَماءُ وَالباحِثونَ الَّذِينَ يَعمَلونَ بِاسْتِسلامِ لِبِراجِ اِيديولوجيَّةٍ أوِ سِياسِيَّةٍ مَشبُوهةٍ أخلاقِيًّا، أوِ أَيضًا لِجماعاتِ مَصالحِ اِقتِصادِيَّةٍ، كَمَا يُسَوِّغونَ الأَبْحاثَ المُخالِفةَ لِلقيَمِ الأَخلاقِيَّةِ الأَساسِيَّةِ.

- مُمَثِّلوُ الأَدْيَانِ الَّذِينَ يَحُطُّونَ مِنَ شِكانِ أَتباعِ الدِّياناتِ الأُخْرى، وَيَعْتَبِرُونَهُمُ ناقِصِينَ، وَالَّذِينَ يُنكَادُونَ بِالْعُلُوِّ وَالتَّعَصُّبِ، بَدَلًا مِنَ الأَحْتِرامِ، وَالتَّفاهُمِ، وَالتَّسامُحِ.

أ- لِكِنا نَعْرِفُ مِنَ تَقاليدِ الأِنسانِيَّةِ الدِّينيَّةِ وَالأَخلاقِيَّةِ الكُبرى القَدِيميَّةِ الأِرْشادَ القائِلَ: **لَا تَكْذِبْ!** أوِ بِصيغَةِ إِجْمايِيَّةٍ: **تَكَلِّمْ وَتَصَرَّفْ بِصِدْقٍ!** لِنتَذَكَّرَ إِذاً مِنَ جَدِيدِ نَتائِجِ هَذا الأِرْشادِ الضَّارِبِ فِي الأَقدامِ: لَيْسَ يَحِقُّ لِأَيِّ اِنْسَانٍ، وَلا مُؤَسَّسَةٍ، وَلا دَوْلَةٍ، وَلا كَنِيسَةٍ أَيضًا، أَوْطانِفَةَ دِينيَّةٍ، الكِذْبَ عَلى النَّاسِ.

ب- هَذا يَنْطَبِقُ بِصُورَةٍ خاصَّةٍ عَلى:

- **وسائل الإعلام الجاهيري الكفول** لها عن حق حريّة الشّر من أجل إجاد الحقيقة، والتي تمارس بذلك في كل مجتمع سلطة رقابية: إنها لا تقف فوق الأخلاق، بل تبقى فيما يخص الموضوعية والإنصاف ملتزمة بالكرامة الإنسانية، وحقوق الإنسان، والقيم الأساسية. ليس يحق لها انتهاك حرمة النطاق الشخصي للأفراد، ولا تشويه الحقيقة، ولا التلاعب بالرأي العام.

- **الفنون والآداب والعلوم الكفول** لها عن حق الحرية الفنية والأكاديمية: إنها ليست معفاة من المفايس الأخلاقية العامة، بل ينبغي أن تخدم الحقيقة.

- **السياسيين والأحزاب السياسية**: عندما يكذبون على شعوبهم ووجهاء لوجه، وعندما يرتكبون جرائم التلاعب بالحقيقة، والأرتشاء، أو انتهاك سياسة قوة بلا هوادة في الداخل والخارج، يكونون قد فقدوا مصداقيتهم، ويستحقون فقدان وظائفهم ونأجبيهم. في مقابل هذا ينبغي على الرأي العام دعم أولئك السياسيين الذين يتكروون على إعلان الحقيقة للشعب في كل وقت.

- وأخيراً يطو هذا على **ممثلي الأديان**: عندما يؤججون الأحكام المسبقة، والكراهية، والعداء، بجاه أصحاب الديانات الأخرى. وعندما ينادون بالتطرف، بل ويدشنون الحروب الدينية، أو يعلنون شرعيتها، فهم يستحقون استنكار الناس، وفقدان أنصارهم. لا يتخذ عن أحد: لا

## عَدَالَةٌ عَالَمِيَّةٌ، بِإِصْدَاقٍ وَإِنْسَانِيَّةٍ!

ج- يَنْبَغِي لِذَلِكَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النَّشْرُ فِي الْأُسْرَةِ وَالْمَدْرَسَةِ التَّمَرُّسَ عَلَى الصِّدْقِ فِي الْفِكْرِ وَالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ. كُلُّ إِنْسَانٍ لَهُ حَقٌّ فِي الْحَقِيقَةِ وَالصِّدْقِ. لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَقٌّ فِي الْحُصُولِ عَلَى الْمَعْلُومَاتِ الضَّرُورِيَّةِ وَالثَّقَافَةِ، لِكَيْ يَتَّخِذَ الْفَرَارَاتِ الَّتِي تُعْتَبَرُ مُصِيرِيَّةً فِي حَيَاتِهِ. لَكِنْ بَدُونِ إِرْشَادٍ أَخْلَاقِيٍّ أَسَاسِيٍّ يَصْعُبُ عَلَيْهِ التَّمْيِيزُ بَيْنَ مَا هُوَ هَامٌ وَمَا هُوَ غَيْرُ هَامٍ. فَعَسَى الْمَعْلُومَاتِ الْيَوْمِيَّةِ فِي عَصْرِنَا هَذَا تُعْتَبَرُ الْمَقَاسِيسُ الْأَخْلَاقِيَّةَ عَوْنًا، عِنْدَ تَشْوِيهِ الْحَقَائِقِ، وَتَوْرِيَةِ الْمَصَالِحِ، وَمُدَاهَنَةِ التَّيَّارَاتِ، وَجَعَلَ الْآرَاءَ مُطْلَقَةً<sup>٥٦٧</sup> نِهَائِيَّةً.

د- أَنْ يَكُونَ الْكُرْهُ أَنْسَانًا حَقِيقِيًّا يَعْنِي بِرُوحِ تَقَالِيدِنَا الدِّينِيَّةِ وَالْأَخْلَاقِيَّةِ الْكُبْرَى مَا يَلِي:

- بَدَلًا مِنَ الْخَلْطِ بَيْنَ الْحَرِيَّةِ وَالْتَعَسُفِ، وَالْتَعَدُّدِيَّةِ وَالْتَسْكِيْبِ، الْعَمَلِ عَلَى أَحْتِرَامِ الْحَقِيقَةِ.
- بَدَلًا مِنَ الْعَيْشِ فِي كِذْبٍ وَنِفَاقٍ وَتَكْيِيفِ اتِّهَامَاتِيٍّ، الْأَعْتِنَاءِ بِرُوحِ الصِّدْقِ أَيْضًا فِي الْعَلَاقَاتِ الْيَوْمِيَّةِ بَيْنَ الْإِنْسَانِ وَأَخِيهِ الْإِنْسَانِ.
- بَدَلًا مِنْ نَشْرِ أَنْصَافِ الْحَقَائِقِ الْإِيدُ بُولُوجِيَّةٍ وَالْحَرِيَّةِ، الْبَحْثِ الْمُبْجَدِّ عَنِ الْحَقِيقَةِ بِصِدْقٍ نَزِيهِ.
- بَدَلًا مِنْ تَجْمِيدِ الْإِتِّهَامَاتِيَّةِ، خِدْمَةِ الْحَقِيقَةِ الْمُدْرَكَةِ سَكْفًا

بِأَمَانَةٍ وَثَبَاتٍ.

## ٤- الأَلْتِرَامُ بِثقافةِ المُساواةِ فِي الحُقوقِ وَالشَّرَاكَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ

يَسعى عَدَدٌ لا يَحصى مِنَ النّاسِ فِي جَمِيعِ البُلدانِ وَالأَدْيَانِ مِنْ أَجْلِ تَحْقِيقِ حَيَاةِ بَرُوحِ الشَّرَاكَةِ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالْمَرْأَةِ، وَالتَّصَرُّفِ بِمَسْئُولِيَّةٍ فِي مَجَالِ الحُبِّ، وَالجِنْسِ، وَالأسرةِ. يُوجَدُ بِرغمِ ذَلِكَ فِي كُلِّ صَوْبٍ وَحَدَبٍ فِي العَالَمِ أَشْكالٌ لِعَيْتَةٍ مِنَ النِّظامِ الأَبَوِيِّ، وَسَيْطَرَةِ جِنْسٍ عَلَى جِنْسٍ آخَرَ، وَاسْتِغْلَالِ النِّساءِ، وَاسْتِغْلَالِ الأَطْفالِ جِنْسِيًّا، وَالعمارةِ الإِجبارِيَّةِ. تُؤدِّي الفُرُوقُ الأَجماعِيَّةُ فِي هَذَا العَالَمِ بِصُورَةٍ غَيْرِ نادرَةٍ إِلَى أَنَّ النِّساءَ بِالأَذَاتِ، بَلْ وَالأَطْفالَ أَيضًا القادِمِينَ مِنْ دُولٍ أَقلِّ نُموًا، يَرَوْنَ أَنفُسَهُمْ مُرغمِينَ عَلَى اسْتِخدامِ الدَّعارةِ كَوَسِيلَةٍ مِنْ أَجْلِ مَعركةِ البقاءِ عَلَى قَيْدِ الحَيَاةِ.

أ- لَكِنَّا نَعْرِفُ مِنْ تَقالِيدِ الأِنسانِيَّةِ الدِّينِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ الكُبرى القَدِيمَةِ الأَرشادَ القائلَ: **لَا تَزْنِ!** أَوْ بِصِيغةِ إِجْبارِيَّةٍ: **أَحْتَرِمُوا وَأَحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا!** لِنَتَذَكَّرَ إِذاً مِنْ جَدِيدِ تَأْيِجِ هَذَا الأَرشادِ العَرِيقِ فِي القَدَمِ: لَيْسَ يَحقُّ لِأَيِّ إِنسانٍ إِهانَةُ إِنسانٍ آخَرَ، بِجَعْلِهِ مُجرَدَ أداةٍ لِفَرِيضَتِهِ الجِنْسِيَّةِ، أَوْ دَفْعِهِ إِلَى التَّبعيةِ الجِنْسِيَّةِ، أَوْ الإِبقاءِ عَلَيْهِ فِيها.

ب- إِنَّكَ نَدِينُ الأَسْتِغْلالَ الجِنْسِيَّ، وَالتَّمييزَ بَيْنَ الجِنْسَيْنِ، بِاعتِبارِهِما أَحَدَ أسْوأِ أَشْكالِ إِهانَةِ الأِنسانِ. أَيُنماتِمُ الدَّعوةُ، حَتَّى وَإِنْ كانَتْ بِاسْمِ عَقِيدَةٍ دِينِيَّةٍ، إِلَى سَيْطَرَةِ جِنْسٍ عَلَى الجِنْسِ الأَخرِ، وَإِنماتِمُ التَّسامُحُ مَعَ

الأَسْتِغْلالِ الجِنْسِيِّ، وَإِمْكَانِ تَشْبِيحِ البَغَاءِ، أَوْ يُحَدِّثُ اسْتِغْلالاً لِلأَطْفالِ،  
تَكُنُ المَقاوِمَةُ مَطْلُوبَةً. لا يَنْخَدِعُ عَن أَحَدٍ: لا يُوْجَدُ إِسْكانِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ،  
بِلا تَعاكُيشٍ مَبْنِيٍّ عَلى الشَّرِاكَةِ!

ج- يَنْبَغِي لِذَلِكَ أَنْ يَتَعَلَّمَ النِّشْبُ فِي الأَسْرَةِ وَالْمَدْرَسَةِ أَنَّ الجِنْسَ  
مَبْدِيًّا لَيْسَ قُوَّةً سَلْبِيَّةً-مُدْمِرَةً أَوْ اسْتِغْلالِيَّةً، بَلْ قُوَّةٌ تَشْكِيلِيَّةٌ-  
حَلَّاقَةٌ. وَوُظِفَتْ هِيَ تَكُونُ جَماعَةً مُحِبَّةً لِلحِياةِ، وَلا يُمكِنُ أَنْ  
يَرُدَّ هَرًا إِلا إِذا مُورِسَ بِمَسْؤُولِيَّةٍ مِنْ أَجْلِ سَعادَةِ الشَّرِيكِ أَيضًا.

د- إِِنَّ العَلاقَةَ بَينَ الرِّجْلِ وَالمرأةِ لا يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ مَحْكُومَةً بِالأوصايَةِ  
وَالأَسْتِغْلالِ، بَلْ بِالحُبِّ وَالشَّرِاكَةِ وَالثِّقَةِ. تَحْقِيقُ الذَّاتِ الإِنسانِيَّةِ  
لا يَتَطابَرُ مَعَ الشَّهْوَةِ الجِنْسِيَّةِ. يَنْبَغِي أَنْ تَكُونَ الحِياةُ الجِنْسِيَّةُ تَغْيِيرًا  
عَنِ عَلاقَةِ حُبِّ مَعيشَةٍ بِالشَّرِاكَةِ وَتَأْكِيدًا لَهَا. بَعْضُ التَّقاليدِ  
الدِّينِيَّةِ تَعْرِفُ أَيضًا مُوْذَجَ التَّنازُلِ الطَّوْعِيِّ عَنِ زِدْها رِ الحِياةِ الجِنْسِيَّةِ.  
أَيضًا الرِّهْدُ الطَّوْعِيُّ يُمكِنُ أَنْ يَكُونَ تَغْيِيرًا عَنِ الهُويَّةِ وَتَحْقِيقِ الأَهْدافِ.

هـ- إِِنَّ مُؤَسَّسَةَ الرِّواجِ الأَجْماعِيَّةِ تَسْمُ - بِرَعْمِ كُلِّ الأَخْتِلافاتِ  
الثَّقافِيَّةِ وَالدِّينِيَّةِ - بِالحُبِّ، وَالوَفاءِ، وَالأَسْتِمْرارِيَّةِ. إِِنَّها تُرِيدُ،  
وَيَنْبَغِي لَهَا أَنْ تَكْفَلَ لِلرِّجالِ وَالنِّساءِ وَالأَطْفالِ الإِحْساسَ بِالأَمكانِ  
وَالتَّضامِ، وَتَضَمَّنَ حُقُوقَهُمْ. يَنْبَغِي العَمَلُ فِي جَمِيعِ البُلدانِ وَالثَّقافاتِ  
عَلى تَوْفِيرِ ظُرُوفِ اِقْتِصادِيَّةِ وَأَجْماعِيَّةِ تُمكِّنُ مِنْ تَحْقِيقِ وَجُودِ يَلِيقُ  
بِالكَرامَةِ الإِنسانِيَّةِ لِلأَرْواجِ وَالأسْرَةِ، وَالأَهْمُ مِنْ ذَلِكَ أَيضًا الكِبارُ

السِّنُّ لِلأَطْفَالِ حَقٌّ فِي التَّعْلِيمِ. لَيْسَ يَنْبَغِي لِلوَالِدَيْنِ اسْتِغْلَالُ الأَطْفَالِ، وَلَا يَنْبَغِي لِلأَطْفَالِ اسْتِغْلَالُ الوَالِدَيْنِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ تَكُونَ عَلاَقَتُهُمْ قَائِمَةً عَلَى الأَحْتِرَامِ المُتَبَادِلِ وَالتَّقْدِيرِ وَالرَّعَايَةِ.

و- أَنْ يَكُونَ المرءُ إنسانًا حَقِيقًا يَعْنِي بِرُوحِ تَقَالِيدِنَا الدِّينِيَّةِ وَالأَخْلَاقِيَّةِ الكُبْرَى مَا يَلِي:

• بَدَلًا مِنَ السَّيْطَرَةِ الأبَوِيَّةِ، أَو الإِهَانَةِ، الَّتِي هُمَا تَعْبِيرٌ عَنِ العُنْفِ، وَكثيرًا مَا تُولِّدَانِ عُنْفًا مُضَادًّا: الأَحْتِرَامَ المُتَبَادِلَ، وَالتَّفَاهُماً، وَالشَّرَاكَةَ.

• بَدَلًا مِنْ كُلِّ أَشْكَالِ شَرِّهِ التَّمَلُّكِ الجِنْسِيِّ، أَوْ سَوْءِ اسْتِخْدَامِ الجِنْسِ: مُرَاعَاةَ مُتَبَادَلَةٍ، وَتَسَامُحًا، وَاسْتِعْدَادَ المُصَالِحَةِ، وَحُبًّا.

عَلَى مُسْتَوَى الأُمَّمِ وَالأَدْيَانِ لَا يُمْكِنُ مُمَارَسَةُ الأَمَاتَمِ مُعَايِشَتُهُ عَلَى مُسْتَوَى العَلاَقَاتِ الشَّخْصِيَّةِ وَالأُسْرِيَّةِ.

## رَابِعًا: تَحْوُّلُ الوَعْيِ

تُظْهِرُ الخَبَرَاتُ الأَجْتِمَاعِيَّةُ كَافَةً أَنَّ كَوْنَنَا الأَرْضِيَّ لَا يُمكنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ، بِدُونِ التَّوَصُّلِ إِلَى تَحْوُّلٍ فِي وَعْيِ الأَفْرَادِ وَالنَّاسِ عَامَّةً. وَقَدِ اتَّصَحَّ هَذَا فِي قَضَايَا مِثْلِ الحَرْبِ وَالسَّلَامِ، وَالأَقْتِصَادِ وَالبَيْئَةِ، حَيْثُ تَمَّ التَّوَصُّلُ إِلَى تَغْيِيرَاتٍ جَوْهَرِيَّةٍ فِي العُقُودِ الأَخِيرَةِ. هَذَا أَيْضًا مَا يَنْبَغِي التَّوَصُّلُ إِلَيْهِ

بِالنَّظَرِ إِلَى الْمَقَائِسِ الْأَخْلَاقِيَّةِ! لَيْسَ يَمْتَلِكُ كُلُّ فَرْدٍ كَرَامَةً مُقَدَّسَةً، وَحُقُوقًا لَا تُبَاعُ، فَحَسْبُ، بَلْ يَتَحَمَّلُ أَيْضًا مَسْئُولِيَّةً لَا تُرَدُّ، لِمَا يَفْعَلُهُ وَلِمَا لَا يَفْعَلُهُ. إِنَّ كُلَّ قَرَارَاتِنَا وَأَفْعَالِنَا، وَأَيْضًا جَمِيعَ إِخْفَاقَاتِنَا وَفَشَلِنَا، لَهَا نَتَايِجٌ وَنَوَائِجٌ.

الإبقاء على هذه المسؤولية حية، وتعميقها، وتسليمها للأجيال القادمة، هي المهمة الخاصة للأديان. نحن نبقى في ذلك واقعيين فيما يخص ما تم التوصل إليه في هذا الإجماع، ونلج في مراعاة ما يلي:

١- من الصعب التوصل إلى إجماع عالمي حول كثير من القضايا الأخلاقية المنفردة المختلف عليها (بداية من الأخلاق البيولوجية، والأخلاق الجنسية، مروراً بأخلاق الإعلام، وأخلاق العلوم، وصولاً إلى أخلاق الاقتصاد، وأخلاق الدولة). لكن ينبغي أن يكون من الممكن أيضاً إيجاد حلول مناسبة لكثير من القضايا المختلف عليها حتى الآن، بروح المبادئي المشتركة المطورة هنا.

٢- لقد أنبعث بالفعل وعي جديد بالمسؤولية الأخلاقية في كثير من مجالات الحياة. لذلك فإننا نجد أن تم إعداد **قوانين أخلاقية** معاصرة لاكثر ما يمكن من الطبقات المهنية - مثل الأطباء، والعلماء، ورجال الأعمال، والصحفيين، والسياسيين، مثلاً - تقدم إرشادات محددة للقضايا العاجلة المتفجرة لكل طبقة من هذه الطبقات المهنية.

٣- إننا نلج بصورة خاصة على كل طائفة من الطوائف الدينية أن تصوغ

معاييرها الأخلاقية المميرة لها. ما الذي لدى كل تقليديني  
ليقوله مثلاً عن معنى الحياة والموت، وعن تحمل الألم، وعن مغفرة الذنب،  
وعن التفاني في التضحية، وعن ضرورة الزهد، وعن الشفقة والسُّرور؟  
كل ذلك ستقوم المقاييس العالمية للأخلاق - التي صارت الآن  
واضحة المعالم - بتعميقه، وشرحه، وتحديدته.

أخيراً نحن نناشد جميع سُكَّانِ هذا الكوكب: ليس يُمكن أن تتغير  
أرضنا إلى الأحسن، بدون أن يتغير وعي الأفراد. إننا ننادي بتحول  
في الوعي الشخصي والجماعي، وبايقاظ قوتنا الروحية، من خلال التفكير،  
والتأمل الروحي، والصلاة، والتفكير الإيجابي، وعودة القلوب. معاً  
نستطيع تحريك الجبال! بدون مُغامرة واستعداد للتضحية، لا يوجد تغيير  
جوهري لحالتنا! لذلك فنحن نتعهد بالالتزام بمقاييس عالمية مشتركة  
للأخلاق: بتفاهم متبادل أفضل، وكذلك أشكال حياة مناسبة  
اجتماعياً، ومدعمة للسلام، ومحافظ على البيئة. إننا ندعو الناس كافةً  
- سواءً كانوا متدينين أم غير متدينين - أن يفعلوا الشيء نفسه!